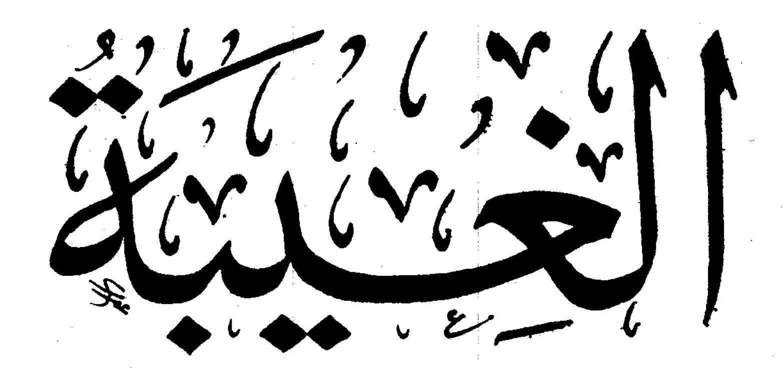


الغيبة

لشيخ الإسلام ابن تيمية

ومعها رسالة

رفع الريبة

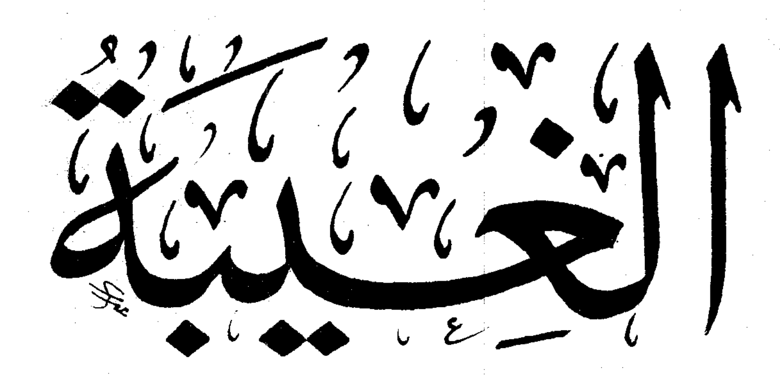
عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة

للإمام محمد بن علي الشوكاني

تحقيق

محمود إمام منصور

الرسالة الأولى :



ما يجوز منها وما لا يجوز

النميمة ـ اعاريض ـ الهمز ـ اللمز ـ البهتان ـ التوبة

لشيخ الاسلام

ابن تيمية

تحقيق

محمود ابراهيم منصور

الرســـالة الأولى

مسئلة فى الغيبة :

هل تجوز على اناس معينين او يعين شخص بعينه ؟

وما حكم ذلك ؟

افتونا بجواب بسيط ليعلم ذلك الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ويستمد كل واحد بحسب قوته بالعلم والحكم .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، أصل الكلام فى هذا ان يعلم أن الغيبة هى كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لما سئل عن الغيبة فقال : « هى ذكرك أخاك بما يكره » قيل : يا رسول الله أرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » [1] .

بين صلى الله عليه وسلم الفرق بين الغيبة [2] والبهتان [3] وان الكذب عليه بهت له كما قال سبحانه :

« ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » (٤) ..

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة كتاب الأدب باب تحريم الغيبة جزء ١٦ صفحة ١٤٢

(٢) الغيبة : من الاغتياب واغتاب الرجل اغتياباً اذا وقع فيه . وهو أن يتكلم خلف انسان مستور بسوء أو بما يغمه لو سمعه وان كان فيه فان كان صدقاً فهو غيبة وان كان كذباً فهو البهت والبهتان . ـ لسان العرب مادة « غيب » .

(٣) البهتان : من بهت الرجل يبهته بهتاً وبهتاناً فهو بهات أى قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت والبهتان : افتراء .

لسان العرب مادة « بهت »

(٤) سورة النور الآية : ١٦

وقال تعالى :

« ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن » (٥) ..

وفى الحديث الصحيح « ان اليهود قوم بهت » (٦) .

فالكذب على الشخص حرام كله ، سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً ، براً أو فاجراً ، لكن الافتراء على المؤمن أشد بل الكذب كله حرام .

* * *

المعـــــاريض (٧)

ولكن يباح عند الحاجة الشرعية « المعاريض » وقد تسمى كذباً لأن الكلام يعنى به المتكلم معنى ، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب ، فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض ، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض ، وهى كذب باعتبار الافهام ، وان لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن فى ذات الله : قوله لسارة أختى ، وقوله « بل فعله كبيرهم هذا » وقوله : « إنى سقيم » (٨) وهذه الثلاثة معاريض ، وبها احتج العلماء على جواز التعريض للمظلوم ، وهو أن يعنى بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب ، ولهذا قال من قال من العلماء إن ما رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو من هذا كما فى حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس بالكاذب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمى خيراً » (٩) ولم

---

(٥) سورة الممتحنة الآية : ١٢

(٦) هو من كلام عبد الله بن سلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية فى قصة اسلام عبد الله بن سلام [٣ / ٢٠٨] وقال رواه البخارى عن عبد الله بن أبى بكر

(٧) المعاريض : التورية بالشئ عن الشئ والمعاريض جمع معراض من التعريض الذى هو خلاف التصريح .

لسان العرب مادة « عرض »

(٨) رواه البخارى والامام أحمد عن أبى هريرة .

(٩) رواه مسلم كتاب الأدب باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ١٦ / ١٥٧ من حديث أم كلثوم .

يرخص فيما يقول الناس أنه كذب إلا فى ثلاث : فى الاصلاح بين الناس وفى الحرب وفى الرجل يحدث امرأته » [10] .

قال فهذا كله من المعاريض خاصة ولهذا نفى عنه النبى صلى الله عليه وسلم اسم الكذب باعتبار القصد والغاية .

* * *

صور من المعاريض [11]

كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحرب خدعة » وانه كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ومن هذا الباب « قول الصديق فى سفر الهجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم هذا الرجل يهدينى السبيل » [12] . وقول النبى صلى الله عليه وسلم للكافر السائل له فى غزوة بدر « نحن من ماء » [13] . .

وقوله للرجل الذى حلف على المسلم الذى أراد الكفار أسره « انه أخى » وعنى اخوة الدين ، وفهموا منه اخوة النسب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن كنت لأبرهم وأصدقهم المسلم أخو المسلم » .

* * *

---

(١٠) رواه مسلم باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ١٦ / ١٥٧ من حديث أم كلثوم ومعنى الحديث : قال الامام الغزالى « الكذب لدفع الضرر قد رخصه الشرع ولكن الحد فيه : أن الكذب محذور ولو صدق فى مواضع الترخيص تولد عنها محذور فينبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط ؛ فاذا علم أن المحذور الذى يحصل بالصدق أشد وقعاً من الكذب فى الشرع . فله الكذب والعكس بالعكس . وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما . وعند ذلك فان الميل الى الصدق أولى » .

انتهى من الاحياء مختصراً ٩ / ٤٣

(١١) عنوان مضاف من المحقق .

(١٢) رواه البخارى عن أنس .

(١٣) رواه ابن اسحاق عند ابن كثير فى البداية والنهاية ٣ / ٢٦٤ .

الفــــرق بين الغيبـــــة والبهتان [١٤]

والمقصود هنا أن النبى صلى الله عليه وســلم فرق بين الاغتيــاب وبين البهتان ، وأخبر أن المخبر بما يكره أخوه المؤمن عنه إذا كان صادقاً فهــو المغتاب ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « ذكرك أخاك بما يكره » موافقة لقوله تعالى :

« ولا يغتب بعضكم بعضاً ، ايحب احــدكم ان ياكل لحــم اخيــه ميتــا فكرهتموه » (١٥) ..

فجعل جهة التحريم كونه أخاً اخوة الإيمــان ، ولذلك تغلظت الغيبـــة بحسب حال المؤمن ، فكلما كان أعظم إيماناً كان اغتيابه أشد .

* * *

الهمــــز واللمــــز [١٦]

ومن جنس الغيبة الهمز واللمز ، فإن كلاهما فيه عيب النــاس والطعن عليهم كما فى الغيبة ، لكن الهمز هو الطعن بشدة وعنف ، بخلاف اللمز فإنه قد يخلو من الشدة والعنف ، كما قال تعالى :

« ومنهم من يلمزك فى الصدقات » (١٧) ..

أي يعيبك ويطعن عليك وقال تعالى :

« ولا تلمزوا أنفسكم » (١٨) ..

أى لا يلمز بعضكم بعضا .

---

(١٤) عنوان مضاف من المحقق .
(١٥) سورة الحجرات آية : ١٢
(١٦) عنوان مضاف من المحقق .
(١٧) سورة التوبة آية : ٥٨
(١٨) سورة الحجرات آية : ١١

وقال تعالى :

« هماز مشاء بنميم » (١٩) ..

وقال تعالى :

« ويل لكل همزة لمزة » (٢٠) ..

* * *

صور المدح التى مدحها الله ورسوله وكذلك صـــــور الذم (٢١)

إذا تبين هذا فنقـول : ذكر النـاس بما يكرهون هو فى الأصـل على وجهين :

(أحدهما) ذكر النوع . (والثانى) ذكر الشخص المعين الحى أو الميت .

أما الأول فكل صنف ذمه الله ورسوله يجب ذمه وليس ذلك من الغيبة كما أن كل صنف مدحه الله ورسوله يجب مدحه ، وما لعنه الله ورسوله لعن كما أن من صلى الله عليه وملائكته يصلى عليه ، فالله تعالى ذم الكافر والفاجر والفاسق والظالم والغاوى والضال والحاسد والبخيل والساحر وآكل الربا وموكله والسارق والزانى والمختال والفخور والمتكبر الجبار وأمثال هؤلاء ، كما حمد المؤمن التقى والصادق والبار والعادل والمهتدى والراشد والكريم والمتصدق والرحيم وأمثال هؤلاء ، ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه ، والمحلل والمحلل له ، ولعن من عمل عمل قوم لوط ، ولعن من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، ولعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وساقيها وشاربها وآكل ثمنها ، ولعن اليهود والنصارى حيث حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها

---

(١٩) سورة القلم آية : ١١

(٢٠) سورة الهمزة آية : ١

(٢١) عنوان مضاف من المحقق .

وأكلوا أثمانها ، ولعن الله الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات من بعد ما بينه للناس . وذكر لعنة الظالمين .

والله هو وملائكته يصلون على النبى ويصلون على الذين آمنوا . والصابر المسترجع (أى القائل عند وفاة أحد له اللهم أجرنا فى مصيبتنا وأبدلنا خيراً منها) عليه صلاة من ربه ورحمة ، والله وملائكته يصلون على معلم النــاس الخير ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان والطير ، وأمر الله نبيه أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات .

فإذا كان المقصود الأمر بالخير والترغيب فيه والنهى عن الشر والتحذير منه فلابد من ذكر ذلك ولهذا كان النبى صلى الله عليه وســلم إذا بلغه ان أحداً فعل ما ينهى عنه يقول : « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ؟ من اشــترط شرطاً ليس فى كتاب الله فهــو باطل وان كان مائة شرط » . « ما بال رجال يتنزهون عن أشياء أترخص فيها ؟ والله انى لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده « ، « ما بال رجال يقول أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ؟ ويقول الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام ؟ ويقول الآخر : لا أتزوج النساء ويقول الآخر : لا آكل اللحم ؟ لكنى أصوم وأفطر وأقــوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم ؟ فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٢٢) .

* * *

الالتزام بنص التسمية الواردة (*)

وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة والصلاة واللعن بغير الأسماء التى علق الله بها ذلك مثل أسماء القبائل والمدائن

---

(٢٢) رواه أحمد عن عائشة .
صححه الالبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢٨) .
حديث « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا » .. ، رواه أحمد عن عائشة وصححه الالبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٨) .
(*) عنوان مضاف من المحقق .

والمذاهب والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشـايخ ونحو ذلك مما يراد به التعريف كما قال تعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٢٣) ..

وقوله تعالى :

« الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٢٤) ..

وقال تعالى :

« تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » (٢٥) ..

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان آل فلان ليسوا لى بأولياء إنما وليى الله وصالح المؤمنين » [٢٦] .

وقال : « إلا أن أوليائى المتقون حيث كانوا ومن كانوا » [٢٧] وقال : « ان الله أذهب عنكم عبية [٢٨] الجاهلية وفخرها بالآباء . الناس رجلان : مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، الناس من آدم وآدم من تراب » [٢٩] وقال :

---

(٢٣) سورة الحجرات آية : ١٣

(٢٤) سورة يونس آية : ٦٢ ، ٦٣

(٢٥) سورة مريم آية : ٦٣

(٢٦) حديث الا ان .... رواه البخارى فى كتاب الأدب باب « يبل الرحم ببلاها » .

(٢٧) رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة عن معاذ بن جبل رقم (٢١٢) قال الألبانى فى التخريج صحيح الأسناد (١ / ٩٣) .

(٢٨) العبية . والعبية : الكبر والفخر فهى من التعيين لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف المسترسل على سجيته .

لسان العرب مادة « عيب »

(٢٩) رواه أبو داوود عن أبى هريرة كتاب الأدب باب التفاخر بالانساب . قال ابن قيم الجوزية فى عون المعبود (١٤ / ٢١) الحديث اخرجه الترمذى وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار الا من هذا الوجه وعبد الله بن جعفر والد على بن المدينى ضعيف . ضعفه يحيى بن معين . ووافقه القرطبى فى التفسير (٧ / ٦١٦١) . فالحديث ضعيف .

« انه لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » (٣٠) .

فذكر الأزمان والعدل بأسماء الإيثار والولاء والبلد والانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره .

* * *

لمن تكون الموالاة والمعاداة (٣١)

فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعـاداة فإنمـا تكون بالأشياء التى أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أى صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أى صنف كان ، قال تعالى :

« انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسـوله والذين آمنـوا فان حـزب الله هم الغالبون » (٣٢) ..

وقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض » (٣٣) ..

وقال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (٣٤) . .

---

(٣٠) رواه الامام أحمد فى خطبة الوداع وقال عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى نقلا عن الفتح الربانى (١٢ / ٢٢٧) أورده البيهقى وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه البيهقى عن جابر بن عبد الله .

(٣١) عنوان مضاف من المحقق

(٣٢) سورة المائدة آية : ٥١

(٣٣) سورة المائدة آية : ٥١

(٣٤) سووة التوبة آية : ٧١

وقال تعالى :

« لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » (٣٥) ..

وقال تعالى :

« افتتخذونه وذريته أوليـاء مـن دونى وهم لكم عـدو ؟ بئس للظالمين بدلا » (٣٦) ..

وقال تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » (٣٧) ..

*** * ***

تفاوت درجات الايمان لا يخرج من الايمان والمعصية لا تنفى الاخوة (٣٨)

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض بحسب فجوره ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصى كما يقوله الخوارج (٣٩) والمعتزلة (٤٠) ، ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق فى الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة ، قال تعالى :

---

(٣٥) سورة الممتحنة آية : ١

(٣٦) سورة الكهف آية : ٥٠.

(٣٧) سورة المجادلة آية : ٢٢

(٣٨) عنوان مضاف من المحقق .

(٣٩) الخوارج هى فرقة سميت بذلك لخروجهم على الامام على يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا : لا حكم الا الله . تعريضا بسب على رضى الله عنه وخرجوا عن قبضته ـ البرهان للسكسكى ص ٩

(٤٠) المعتزلة : سموا بذلك لاعتزالهم عن أقوال المسلمين فان الناس كانوا مختلفين في مرتكبى الكبائر . فقال بعضهم هم كافرون . وقال بعضهم هم مسلمون وقال بعضهم هم مؤمنون بما معهم من الايمان . فأحدث وأصل بن عطاء « مؤسس المعتزلة » قولا رابعا وقال « ليسوا بمؤمنين ولا كافرين » واعتزل المسلمين . ـ البرهان ص ٢٦

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الآخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » ..

إلى قوله تعالى :

« انما المؤمنون اخوة » (٤١) ..

فجعلهم اخوة مع جود الاقتتال والبغى . وقال تعالى :

« أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » ؟ (٤٢) ..

وقد قال تعالى :

« ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (٤٣)

فهذا الكلام فى الأنواع .

* * *

شروط اظهار عيوب شخص بعينه (٤٤)

وأما الشخص المعين فيذكر ما فيه من الشر فى مواضع :

منها : المظلوم له أن يذكر ظالمه بما فيه أما على وجه دفع ظلمه واستيفاء حقه كما قالت هند : يا رسول الله ان أبا سفيان رجل شحيح وانه ليس يعطينى من النفقة ما يكفينى وولدى . فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » (٤٥) .

---

(٤١) سورة الحجرات الآية (٩ ، ١٠) .
(٤٢) سورة ص آية : ٢٨
(٤٣) سورة النور آية : ٢
(٤٤) العنوان مضاف من المحقق .
(٤٥) رواه مسلم فى كتاب الأقضية عن عائشة ١٢ / ٧

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لى الواجد يحل عرضه وعقوبته » (٤٦) وقال وكيع : عرضه شكايته وعقوبته حبسه ، وقال تعالى :

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » (٤٧) ..

وقد روى :

إنها نزلت فى نزل بقوم فلم يقروه . فإذا كان هذا فيمن ظلم بترك قراه الذى تنازع الناس فى وجوبه وان كان الصحيح انه واجب ، فكيف بمن ظلم بمنع حقه الذى اتفق المسلمون على استحقاقه إياه ؟

أو يذكر ظالمه على وجه القصاص من غير عدوان ولا دخول فى كذب ولا ظلم الغير وترك ذلك أفضل .

ومنهـا :

أن يكون على وجه النصيحة للمسلمين فى دينهم ودنياهم من الحـديث الصحيح عن فاطمة بنت قيس لما استشارت النبى صلى الله عليه وسلم من تنكح ؟ وقالت : إنه خطبنى معاوية وأبو جهم فقال : « أمعـاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء » .

وروى : « لا يضع عصاه عن عاتقه » (٤٨) فبين لها أن هذا فقير قد يعجز عن حقك وهذا يؤذيك بالضرب . وكان هذا نصحاً لها ــ وان تضمن ذكر عيب الخاطب . وفى معنى هذا نصح الرجل فيمن يعامله ومن يوكله ويوصى إليه ومن يستشهده .

* * *

---

(٤٦) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجة من حديث الشريد ، قال الحافظ العراقى فى تخريجه على الاحياء (٩ / ٦٦) اسناده صحيح .

(٤٧) سورة النساء آية : ١٤٨

(٤٨) أخرجه الستة الا البخارى .

النصح للحكام والأمراء (*)

بل ومن يتحاكم إليه . وأمثال ذلك وإذا كان هذا فى مصلحة خاصة فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين من الأمراء والحكام والشهود والعمال أهل الديوان وغيرها ؟ فلا ريب أن النصح فى ذلك أعظم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٤٩) وقد قالوا لعمر بن الخطاب : فى أهل الشورى أمر فلانا وفلاناً ، فجعل يذكر فى حق كل واحد من الستة ــ وهم أفضل الأمة ــ أمراً جعله مانعاً له من تعيينه .

* * *

حكم الجرح لرجال الحديث (٥٠)

وإذا كان النصح واجباً فى المصالح الدينية الخالصة والعامة مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحيى بن سعيد : سألت مالكاً والثورى والليث بن سعد ــ أظنه ــ الأوزاعى عن الرجل يتهم فى الحديث أو لا يحفظ ؟ فقالوا : بين أمره ، وقال بعضهم لأحمد بن حنبل : إنه يثقل على أن أقول فلان كذا وفلان كذا ، فقال : إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم .

* * *

حكم الجرح لمروجى البدع (*)

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(٤٩) رواه مسلم ــ كتاب الايمان باب بيان أن الدين من النصيحة (٢ / ٣٧) .

(٥٠) عنوان مضاف من المحقق .

المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحب إليك أو يتكلم فى أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم فى أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل . فبين أن نفع هذا عام للمسلمين فى دينهم من جنس الجهاد فى سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بنى هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (٥١) .

وذلك أن الله يقول فى كتابه :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » (٥٢) ..

فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانه أنزل الحديد كما ذكر . فقوام الدين بالكتاب الهادى ، والسيف الناصر :

« وكفى بربك هادياً ونصيراً » (٥٣) ..

والكتاب هو الأصل ولهذا أول ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد .

* * *

---

(٥١) قال الألبانى فى غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام ص ٢٢٨ رواه مسلم عن أبى هريرة (٨ / ١١) وابن ماجة (٤١٤٣) .

(٥٢) سورة الحديد آية : ٢٥

(٥٣) سورة الفرقان آية : ٣١

التحذير من المنافقين ببيان حالهم مشروع ليس بغيبة (٥٤)

وأعداء الدين نوعان : الكفار والمنافقون وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين فى قوله تعالى :

« جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » (٥٥) ..

فى آيتين من القرآن .

فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين ، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله .

وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقاً وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين كما قال تعالى :

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » (٥٦) ..

فلابد أيضاً من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم .

وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلابد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم يكن كذلك لوجب بيان حالها ، ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية ومن يغلط فى الرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة ،

---

(٥٤) عنوان مضاف من المحقق .
(٥٥) سورة التحريم آية : ٩
(٥٦) سورة التوبة آية : ٤٧

وإن كان المخطيء المجتهد مغفوراً له خطؤه ، وهو مأجور على اجتهاده ، فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجب وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله . ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له ، فإن الله غفر له خطأه بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك وان علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن أبى وذوية (٥٧) ، وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضة عبد الله بن سبأ (٥٨) وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق ، وان أعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقاً أو مؤمناً مخطئاً ذكر بما يعلم منه ، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم ، ولا يحل له أن يتكلم فى هذا الباب الا قاصداً بذلك وجه الله تعالى ، وان تكون كلمة الله هى العليا ، وان يكون الدين كله لله ، فمن تكلم فى ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثماً وكذلك القاضى والشاهد والمفتى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة : رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار . ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار » (٥٩) .

وقد قال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم

---

(٥٧) عبد الله بن أبى بن سلول : هو من بنى عوف بن الخزوج وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذى قال « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » فى غزوة بنى المصطلق قال ابن اسحاق : وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود ــ من الروض الأنف للسهيلى شرح سيرة ابن هشام .

(٥٨) عبد الله بن سبأ بن السوداء : كان يهوديا من أهل صنعاء ثم أسلم لا رغبة فى الاسلام ولكن ليغر المسلمين باسلامه فيفسد أمورهم ويغرى بينهم الى أن حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان رضى الله عنه وكان هو وفرقته « السبئية » يقرون بالرجعة الى الدنيا بعد الموت وهو أول من قال بذلك وأبطل الأخرة وهو كاعتقاد الرافضة . انظر البرهان ص ٥٠

(٥٩) رواه الترمذى وأبو داوود وابن ماجة والقضاعى فى مسند الشهاب عن ابن عمر قال محقق مسند الشهاب (١ / ٢٠٩) قال الحافظ الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٩٣) رجاله ثقات وهو حديث صحيح .

او الوالدين والأقربين ان يكن غنياً او فقيراً فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » (٦٠) ..

واللى هو الكذب ، والاعراض كتمان الحق ومثله ما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما » .

* * *

شروط الغيبـــــة (٦١)

ثم القائل فى ذلك بعلم لابد له من حسن النية فلو تكلم بحق لقصد العلو فى الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذى يقاتل حمية ورياء .

وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين فى سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل ، وليس هذا الباب مخالفاً لقوله : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » فإن الأخ هو المؤمن وأخا المؤمن إن كان صادقا فى إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذى يحبه الله ورسوله وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه ، بل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهداً لله ولو على نفسه أو والديه أو قريبه ، ومتى كره هذا الحق كان ناقصاً فى إيمانه ، ينقص من اخوته بقدر ما نقص من إيمانه ، فلم يعتبر كراهته من الجهة التى نقص منها إيمانه إذ كراهته لما يحبه الله ورســوله توجب تقديم محبــة الله ورسوله كما قال تعالى :

« والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٦٢) ..

ثم قد يقال : هذا لم يدخل فى حديث الغيبة لفظاً ومعنى وقد يقــال دخل فى ذلك الذين خص منه كما يخص العموم اللفظى والعموم المعنــوى وسواء زال الحكم لزوال سببه أو لوجود مانعه فالحكم واحد والنزاع فى

---

(٦٠) سورة النساء آية : ١٣٥

(٦١) عنوان مضاف من المحقق .

(٦٢) سورة التوبة آية : ٦٢

ذلك يؤول إلى اللفظ إذ العلة قد يعنى بها التامة وقد يعنى بها المقتضية والله أعلم وأحكم .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

وبذلك أنهى الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى وجزاه خيراً الكلام عن الغيبة بعد أن أوضح ملابساتها بأسلوبه المميز الدقيق فرحمه الله وأدخله فسيح جناته .

* * *

وكان الفراغ من تبييض وتصحيح هذه النسخة المباركة الطيبة بحمد الله وعونه وتوفيقه . فى شهر رمضان المبارك .

تم الكتاب وربنا محمود ولـه المكارم والعلا والجود

وعلى النبى محمد صلواته ما ناح قمرى وأورق عود

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

المراجع
ابو حذيفة
ابراهيم بن محمد